

الأساطير وتمثالتها في الرواية الجزائرية المعاصرة - رواية "وادي الجن" لمبروك دريدي-

**Myths and their representation in the contemporary Algerian novel - the case of "The Valley of the Djine's novel" by Mabrouk Dridi-**

شهبيرة بوخنوف\*

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف - ميله ( الجزائر )

[b.chahira@centre-univ-mila.dz](mailto:b.chahira@centre-univ-mila.dz)

ملخص:	معلومات المقال
تبنى الأدباء المعاصرون رؤى جديدة في كتاباتهم الأدبية، فاعتمدوا على التكثيف، والإيحاء، والرمز في مختلف نصوصهم الشعرية والنثرية. ولعلّ من بين الأنواع الشعبوية التي اعتمدها نجد الأساطير التي هي نوعا تعبيريا شعبيا، وقناعا فنيا، تحمل رموزا كثيرة مكثفة، ودلالات عميقة، لذلك فقد وظفها الأدباء في أعمالهم الروائية للاستفادة من طاقاتها الكامنة المشحونة بالمعاني الإنسانية والفكرية المتعددة. ويعد الباحث الروائي الجزائري "مبروك دريدي" من الروائيين المعاصرين الذين وظفوا الأساطير في الأعمال الروائية، ويظهر ذلك واضحا في روايته الموسومة "وادي الجن"، محاولا استنطاق النصوص الأسطورية القديمة، وبعثها من جديد في قالب روائي يتمشى ومستجدات الكتابة الحديثة، فجاءت روايته غنية بأبعاد رمزية، وفنية، ودلالية كثيفة.	تاريخ الارسال: 2023 /03 /31 تاريخ القبول: 2023 /01 /01 <b>الكلمات المفتاحية:</b> ✓ تمثلات: ✓ الأسطورة: ✓ الرواية الجزائرية:
Abstract :	Article info
<i>Modern writers have adopted new insights into their literary writings, relying on intensification, suggestion and symbolism in their various poetic and prose texts. Perhaps among the popular genres they have adopted, we may find myths that are a folk literary genre, an artistic mask, bearing many intense symbols, and profound connotations; therefore, in their fiction work, the writers employed it to take advantage of its potential, fraught with multiple human and intellectual meanings. The Algerian novelist " Mabrouk Dridi is one of the modern novelists</i>	Received 31/03/2023 Accepted 01/01/2023 <b>Keywords:</b> ✓ Representation. ✓ Mythi. ✓ Algerian novel.

*who employ myths in fiction works, and this is evident in his novel entitled "The Valley of the Djine", trying to analyze old mythical texts and revive them in a novelist format in accordance with modern writing. His novel came to be rich in symbolic, artistic dimensions and dense connotation.*

. مقدمة:

يتناول هذا البحث الأساطير ومختلف تمثلاتها ورموزها الواردة في رواية "وادي الجن" لمؤلفها "مبروك دريدي" الذي حاول استنطاق مختلف الأساطير القديمة، وتوظيفها في روايته، وقد أعطى لها نفسا جديدا، وأبعادا رمزية، وجمالية فنية تستجيب لمتطلبات الروايات المعاصرة التي تغترف مادتها من مختلف الأساطير، فاستطاعت أن تخلق عالما جديدا ينبض بالحياة والنشاط.

حاولنا في دراستنا فهم سرّ ذلك التوظيف الأسطوري المكثّف، منطلقين من إشكالية متمحّرة حول البحث عن مختلف تمثّلات ورموز الأساطير الموظفة في روايته، محاولين إمطة اللثام عن الروايات الجزائرية الزاخرة بشتى أنواع الأساطير، الغنية برموز عديدة، ذات أبعاد دلالية مكثفة.

## 2. ملخص الرواية:

يدور موضوع الرواية حول بطل اسمه "فريد الجحش"، يخوض مغامرات بكلّ جرأة، يدخل إلى وادي الجن بكلّ شجاعة وقوة، فقد كان مجنونا وعبقريًا وجنّيًا في هيئة بشر.

يلتقي فريد بعمار في الجامعة، فريد وحيد والديه، أما عمار فقد كان يتيما تكفل به شيخ القرية، تخرجا من الجامعة، فبدأ فريد يخطط لمشروع، أما عمار فقد بدأ البحث عن وظيفة تُسكت جوع بطنه، لكنّه في كلّ مرّة يخفق في المسابقة نتيجة البيروقراطية والمحسوبية، وهذا ما جعله يقبل المشاركة في مشروع صديقه المريح، والخطير في الوقت نفسه.

يريد فريد الذي هو رجل أعمال استغلال واد لبناء مصنعه، فيحاول إقناع الحكومة بأن تنازل له عن أرض تلك الوادي، مستخدما معارفه وعلاقاته سواء كانت شرعية أم غير شرعية للحصول على ذلك الوادي، وبالفعل فقد حصل عليه، فيبني فيه بمساعدة صديقة "عمار الكلب" مصنعا ظاهرا للناس، ويزرعه في الخفاء بالحشيش والقنب، فالعالم بالنسبة إليه ذو وجهين، وجه للعامّة من الناس، ووجه مقنع ينام في الخفاء، كان يريد مكانا له في هذا العالم بوجهه الخفي.

يتعرف فريد الجحش في أحد الأيام في صفحته الفايبوكية إلى "عشتارالرافدين"، وهي "نهي العماش" عراقية مقيمة في السويد، تدرس الآثار، وقد فكت طلاسيم الحجر ورموزه الذي صور فيه - وجعله صورة صفحته في الفاييس بوك- فأخبرته أنه في مكان أسطوري عجيب مسكون بالجن، فيه كنز عريق يعود لآلاف السنين. فيتشجع ويدخل إلى إحدى مغاراته بمساعد صديقه عمار وحبيبته نهي، يعثر على آثار ومنحوتات ذهبية، يبيعهما، فيصبح من أكبر الأغنياء.

وقد أنجب فريد من نهي طفلة جميلة اسمها "إريس ماريا"، لكن أمها أخذتها بعيدة عنه، بحثا عن الأمان والاستقرار... بحث عنها دون جدوى. تنتهي الرواية باستدعاء البطل "فريد" للتحقيق حول مكان اللوح الأخير، كونه اللوح الأهم الذي تبحث عنه المجموعة التي اشترت الألواح السابقة، وتقوم بتهدده في حالة عدم جلبه، فيحطم كلّ تهديداتهم بقوله "أنا مواطن سويدي".

## 3. مصطلح الأساطير:

### 1.3 لغة:

جاء في لسان العرب «سَطَرَ: السَطْرُ والسَطْرُ: الصَّف من الكتاب... والأساطير: الأباطيل. والأساطير: أحاديث لا نظام لها واحدها اسطارٍ واسطارة، بالكسر، وأسطيرٌ وأسطيرةٌ وأسطورٌ وأسطورة، بالضم. وقال قوم: أساطير جمع أسطارٍ، وأسطارٌ جمع سَطَرٍ... وَسَطَرَهَا أَلْفَهَا. وَسَطَرَ عَلَيْنَا: أَنَا بالأساطير. اللَّيْث: يقال سطر فلان علينا يسطر إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل. يقال: سطر فلان على فلان إذا زخرف له الأقاويل ونمقها، وتلك الأقاويل الأساطير والسُّطْرُ» (ابن منظور، 1990، صفحة 363-364) ويعني هذا، إنَّ الأساطير ما هي إلا أباطيل وأحاديث كاذبة.

و«(السُّطْرُ): الصَّف من الشيء كالكتاب والشجر وغيره ج أسطُرٌ وسُطُورٌ وأسطارٌ جج أساطيرٌ والخط والكتابة واستطَرَّهُ كتبه والأساطير الأحاديث لا نظام لها جمع إسطارٍ واسطيرٍ بكسرهما... وَسَطَرَ تَسْطِيرًا أَلْفَ وَعَلَيْنَا أَنَا بالأساطير والمُسَيْطِر الرقيب...» (الفايزوزوبادي، د.ت، صفحة 49).

وقد ذكر القرآن الكريم مصطلح (أساطير) بصيغة الجمع، وورد مضافا إلى مصطلح (الأولين) فأصبح (أساطير الأولين) وقد ورد تسع مرات في القرآن الكريم\* (ينظر السور التالية في القرآن الكريم: سورة الأنعام الآية 25، وسورة الأنفال الآية 31، وسورة النحل الآية 24، وسورة المؤمنون الآية 83، وسورة الفرقان الآية، 05 وسورة النمل الآية 68، وسورة الأحقاف الآية 17، وسورة القلم الآية 15 وسورة المطففين، الآية 13). قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا أَنْ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (سورة الأنعام، الآية 25).

### 2.3 اصطلاحا:

الأسطورة «حكاية مقدسة، ذات مضمون عميق يشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان» (فراس السواح، 2001، صفحة 14) فالأساطير قصص مقدسة، تروي أحداثا ووقائعا حدثت في الزمن الأول، وهذا ما أكده الباحث الميثولوجي ميرسيا إيليا حيث يرى أنها «قصة مقدسة تروي حدثا وقع في الزمن البدئي، الزمن الأسطوري، وبعبارة أخرى، تروي لنا كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل كائنات عليا، لا فرق إن كانت هذه الحقائق كليتة كالكون أو جزئية كالجزيرة أو نوعا من النبات...» (Mircea Eliade, 1963, p 16-17) فالأساطير قصص مقدسة في نظر أصحابها، فهم يؤمنون بها لأنها «كالتاريخ المقدس» فهي إذن «تاريخ حقيقي» لأنها ترجع دائما إلى «الحقائق» (Mircea Eliade, 1963, p 17).

وتتصل الأسطورة «اتصالا وثيقا بأساسيات الحياة ومقوماتها، وتقدم تفسيرا عاما وشاملا للكون والوجود والإنسان، تفسيرا أشبه ما يكون تاريخيا وجوديا لنشأة الكون وتفتقه عن هذه الموجودات المتعينة والمتباينة» (خليل حنا تادرس، د.ت، صفحة 07) فالأساطير محاولة إنسانية لفك طلاسم الكون والطبيعة.

و«الميثولوجية لا تنفك عادة عن ممارسة الطقوس، فالعديد من الأساطير لا معنى لها خارج المشهد الطقسي الذي يثبت فيها الحياة، ولا يمكن فهم مغزاها في أجواء وترتيبات اعتيادية» (كارين أرمسترونغ، 2008، صفحة 09) فالأساطير غالبا ما ترتبط بالطقوس، ومختلف العبادات الدينية.

أما كلمة ميثولوجيا Mythologie فهي كلمة مركبة «من مقطعين: "ميثوس + لوغوس" = ميثولوجيا. ميثوس تعني ما يتنافى والعقل ولوغوس تعني العقل، والميثولوجيا تعني بدراسة وتفسير الأساطير. كما تدل لفظة ميثولوجيا كذلك على مجموعة الأساطير الخاصة بشعب ما مثل: الميثولوجيا الفينيقية، الميثولوجيا المصرية، الميثولوجيا الإغريقية...» (حسن نعمة، 1994، صفحة 26) فالميثولوجيا مصطلح «يطلق عادة على مجموع أساطير هذا الشعب، أو ذلك، أو على دراسة الأساطير» (م.ف ألبيدل، 2008، صفحة 22) أي إنها العلم الذي يدرس الأساطير.

وقد حدّد لنا "ميرسيا إيليا" مجموعة من الخصائص التي تميّز الأساطير عن غيرها من الفنون القولية الأخرى، وهي (Mircea Eliade, 1963, p 32):

1. الأسطورة قصة أفعال، قامت بها كائنات عليا؛
2. هذه القصة حقيقية على الإطلاق (لأنها تروي الحقيقة) ومقدّسة (لأنها من فعل الكائنات العليا)؛
3. تتعلق الأسطورة دائما بخلق (Création) أشياء جديدة، فهي تروي لنا كيف جاء شيء ما إلى الوجود، وكيف وضعت قواعد لتصرف مؤسسة معينة، أو طريقة ما لأداء عمل وهذا الخلق هو الذي يجعل الأساطير نموذجا خلقيا مثاليا لكلّ فعل إنساني يحمل معنى؛
4. إن تعريف الأسطورة هو تعريف لأصل (Origine) الأشياء، وتبعاً لذلك نصل إلى السيطرة عليها والتحكم بها حسب إرادتنا... وهذه المعرفة يمكن أن تعاش طقسياً، إمّا برواية الأسطورة في المراسيم الدينية الاحتفالية، أو بإجراء الطقوس التي تعطيها التبرير.
4. الأساطير الموظفة في رواية "وادي الجن" - تمثالتها ورموزها -
- 1.4 أسطورة أصل الجبل:

وُردت في رواية "وادي الجن" أسطورة أصل الجبل، يقول الروائي «إن الجبال هي في الأصل رجال صالحون عماليق مسخوا بعد أن وطئوا امرأة بغيا ساقها إليهم الشيطان ليلهمهم عن الذكر، يقولون أن ذلك كان منذ قرون بعيدة» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 21-22). فأصل الجبال - إذن- هم رجال صالحون أغواهم الشيطان، فوطئوا امرأة بغيا فمسخهم الله جبالا... وتمائل هذه الأسطورة إحدى أساطير منطقة القبائل (بجاية) اللذين يعتقدون أن أصل الجبال والأحجار البشر الفاسدون... لذلك نجد أن أهل المنطقة يقولون للذين يعيشون في الأرض فسادا (أكسُخُطُ رَبِّ ذِپَلاطُ) أي (مسخك الله حجرا). حاول الروائي إعطاء صورة ودلالة جديدة لأساطير الجبال: استغل إيماءاتها، فجعلها تتماشى مع الواقع المعيش، وبالضبط مع تفكير المخيلة الجماعية الجزائرية، التي تؤمن بظاهرة مسخ كلّ من تعدى على قوانين المجتمع. فهي من جهة أسطورة، ومن جهة أخرى تعكس حقيقة المجتمع، إذ حاولت الكشف عن القضايا الاجتماعية الفاسدة في المجتمع.

#### 2.4 وادي الجن الأسطوري:

إنه واد عظيم «يتدفق من سفح جبال بوبرنوس وتضجّ شرايينه بماء زلال على مدى مئة وخمسين كيلومتر، من هناك حيث يجلس الشيوخ إلى حجر البحر حيث تذوب عذوبة الماء في مطحنة الملح مثل مني في رحم يستولدها، تنتهي مياه الوادي كدموع لأجيال في سلسلة طويلة من نسل الجن والبشر معا» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 22). إنه واد عجيب «لم يسكنه أحد ولم يجرئ أحد على البقاء قريبا منه، ابتعدت عنه كل القرى، نأت بنفسها عن ضفافه خوفا، وادي الرعب والأساطير، مسكن الجن حيث لا يملك البشر عشرتهم... بقيت تربته ومياهه عذراء تماما» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 21). إن وادي الجن مخيف مرعب، موجود في مكان أسطوري، يسكنه الجن، و«فم الوادي المرعب كغول أسطوري... كان عليه نقوش مرصوفة كأنها رسوم منسجمة، كأنها أسطر كتابة ما... أنت في مكان عجيب، في مكان أسطوري، يخبر النص الذي على الحجر أنك في قرية قديمة جدا للجن» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 33-71).

ووادي الجن مقدّس عند أولاد سيدي الوزاني وسيدي المرعوش «وادي الجن للجن ونحن منهم في سلام، وتحل اللعنة على كل من يخرق السلام القديم، وأذكر أن الكبار من أهلنا كانوا لا يتحدثون عن وادي الجن في حضرتنا، وينهرون كل من ذكره أو طلب معرفة شيء عنه من داخله». (مبروك دريدي، 2018، صفحة 29). فهو وادي مقدّس يحمل أسراراً كثيرة لا تُمنح إلا لأهلها الحقيقيين الجديرين بها. والواد مقدّس في الثقافة الشعبوية الجزائرية، ولا غرو في ذلك فهو مصدر الماء للإنسان والحيوان والنبات في قديم الزمان، ولا يزال إلى اليوم يشكل مصدرا للفلاحة في المناطق الريفية النائية التي تعتمد على مياه المطر.

وقد شبه الروائي "وادي الجن" بمركز العالم، يقول «كنت أحس أن مركز العالم هناك في وادي الجن، وأن مفاتيح كون بأكمله مدفونة هناك». (مبروك دريدي، 2018، صفحة 28).

#### 3.4 أساطير الأولياء

ورد في رواية "وادي الجن" أسطورة تتحدث عن وليين: "سيدي المرعوش"، و"سيدي الوزاني"، «يقول تاريخ الأجداد أن واد الجن بدأ بأخوين شقيقين، سيدي المرعوش وسيدي الوزاني، وتقول الحكاية أنهما بعد وفاة والديهما دفنهما عند سفح جبال بوبرنوس وافترقا، سيدي المرعوش إلى الشرق، وسيدي الوزاني إلى الغرب، وعادا بعد سنين طويلة إلى سفح الجبال، وكان كل واحد منهما قد عاد بزوجة وأبناء، وشيّدا بيتا واحدا سكناه لمدة إلى حين اختصمت زوجاتهما فعادا ليفترقا مرة أخرى، ولكن هذه المرة باتفاق يأخذ سيدي المرعوش الضفة اليسرى نزولا إلى البحر، فهي له ولأولاده، ويأخذ سيدي الوزاني الضفة اليمنى له ولأولاده، وتقول الحكاية أن الوادي حد فاصل بينهما ومحرم اجتيازه، وعلى مدى زمن طويل تكاثرا الأبناء وتفسحوا في أرض الضفتين، ودفن كل عرش جدهم عند سفح جبال بوبرنوس، وأقاموا لهما مزارا وقبة ضريح. وفي زمن الفرنسيين اقتتل العرشان بشراسة وثأر لم ينقطع، ودامت العداوة عشرات السنين حتى جاءت الثورة فتوحد العرشان في الجهاد» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 22-23).

يعني هذا إن وادي الجن الأسطوري العجيب قد بدأ بأخوين شقيقين "سيدي المرعوش" و"سيدي الوزاني"، وقد تزوجا، فامتلا وادي الجن بنسليهما. وبعد وفاتهما أقام الأولاد لهما مزار وقبة، وكانوا يمارسون طقوسا في قبتهما، ينحرون ويقدمون قرابين حيوانية إليهما «مرة ننحربقرة عند ضريح سيدي الوزاني، ومرة لشقيقه سيدي المرعوش» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 63). وتقديم القرابين معروف عند مختلف الثقافات منذ القدم، فالمصريون «كانوا يتميزون بالكرم والسخاء في تقديم قرابينهم: إنهم يهدون جميع أنواع الحلوى والفطائر للآلهتهم وملوكهم المتوفين... يقوم الكاهن الأكبر أو الفرعون، وهو واقف بمفرده بداخل الناووس (المقر السري للإله في أعماق المعبد) بإضاءة شمعة مصنوعة من عسل النحل، بعد ذلك يقدم لتمثال الإله بعض أرغفة الخبز والفطائر والحلوى، واللبن، والخضروات، والفاكهة، وباقة زهور، ثم يسكب حوله مقدار من مياه النهر المقدس حتى يطهره للمرة الأولى، ثم يقوم بنثر بعض من حبات ملح النترن لتطهيره مرة أخرى» (روبير جاك تيبو، 2004، صفحة 256) فتقديم القرابين للملوك والأولياء والآلهة من عادات بعض الشعوب، وهي لا تقتصر على تقديم الحيوانات فحسب، بل تشمل كل الهدايا والعطايا كالفطائر، واللبن، والخضر، والفواكه... وذلك حتى تتجدد طاقتهم، فترزقهم بما يريدون، إذ «اعتبرت القرابين كغذاء لازم للإله: فإن طاقته تنعش وتتجدد بواسطة طاقات كل من هذه المواد الغذائية التي تقدم له» (روبير جاك تيبو، 2004، صفحة 256). فتقديم القرابين للضريحين "سيدي المرعوش" و"سيدي الوزاني" في الرواية، ما هو إلا رمزا لتجديد قوتها حتى يتمكننا من حماية العرشين من كل بطش أو سوء محقق بهما.

#### 4.4 الجدة مسعودة الجنّية الأسطورية:

الجدة «مسعودة العفريّة امرأة عجوز في قامة باسقة كرجل، تلبس الأسود دائما ولا أحد يقترّب منها، كانت مخيفة بصمتها وعزلتها، يحبها كل أهل القرى رهبة وخوفا، كان بيتها أقرب بيت إلى الوادي، كانت تقيم على ضفته بعيدة عن كل أولاد سيدي الوزاني، وكان الناس يحكون عنها العجب، يقولون بأنها صديقة الجن، ويقال بأنها صارت منذ زمن أختا لهم، فهي الوحيدة التي لا يؤذونها» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 29). فهي عجوز جنّية، يهابها جميع الناس، وقد كانت المرأة الوحيدة التي استطاعت دخول وادي الجن المرهب.

وقد كانت الجدة "مسعودة" امرأة كرامة، رؤاها صادقة «جدتي مسعودة امرأة كرامة، وفي كثير من رؤاها صدقت أنّها عفريّة من الجن. هذه رؤيتها الثالثة، كانت الأولى حين عاشرت الوادي أنا وعمار وأغلقتنا فيه على سرتنا، وكانت الثانية حين

رأت أني ألد طفلة على سرير من الجليد... كانت رؤيتها حقيقة كمن كشف له الحجاب» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 47 - 48).

ولكي تزور بيت الجدة "مسعودة" عليك بأداء طقوس خاصة حتى يسمح لك بالدخول، إذ صار «بيتها كمعبد أستأذن آلهته دخولا وأشكرها خروجاً... المسير إلى بيت الجدة مسعودة يجب أن يكون على الأقدام، براءة الخطوة، هي تكره دنس السيارة كما تقول، وأرضها مقدسة كربوع مكة وحرماها» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 44 - 45) أرضها مقدسة طاهرة، لذلك «حين جاءها وفد الدولة ودنسوا أرضها بسياراتهم وأثاروا غبارهم أمام نظرها، ووخزوا مسمعها بخطابهم وقد رسي جاء بآلات التصوير والكاميرات وحشود من رؤوس الدولة وذبولهم، قالوا لها أنهم جاؤوا لزيارة مجاهدة عظيمة، وطلبوا منها أن تقبل هداياهم وعطاءهم من دولة الاستقلال، رفعت سلاحها في وجوههم، سلاحها الذي سكت يوم وقف إطلاق النار. قالت لهم: سأنطقه، وسأقتل منكم غادروا لا أريد شيئا منكم» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 45) فالجدة "مسعودة" تماثل الأم الكبرى الأسطورية داخل المتن الروائي، تحضى بتقديس رهيب من قبل "فريد الجحش" وصديقه "عمار الكلب"، حتى الدولة كانت تهابها، إذ حاولت تكريمها دون جدوى...

وقد حزن بموتها الإنسان، والحيوان، والنبات «عدت وعلمت أن الجدة مسعودة العفريته قد قضت نحبها، بكيها كما لم أبك يوماً، وقفت ببيتها وتنسجت عطر النعناع الذابل حزنا على فراقها، أوى أبي عزاتها إلى زربيته يتامى جفّ حليب ضرعهن» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 151) فنبات النعناع قد ذبل وجفّ حزنا على موتها، وحليب ضرع عزاتها قد جفّ أيضا حزنا على فراقها... كل ما في الطبيعة قد حزن لموتها، وهذا يماثل موت النبات وذبوله في أسطورة "عشبة خضار"، التي كلما ابتعدت عن منطقتها ذبل كل شيء، وإذا عادت إلى موطنها عاد الاخضرار من جديد (ينظر: شهيرة بوخنوف: 2016، صفحة 383). فالجدة مسعودة في الرواية رمز للطبيعة والخصب، وجودها وجود للخصب والاخضرار، وموتها جفاف وقحط للطبيعة.

#### 5.4 أساطير: عشتار/ جلجامش/ أنو/ أوزوريس/ إيزيس:

ذكر الروائي "مبروك دريدي" بعض الأساطير القديمة: "جلجامش"، و"أنو"، و"أوزوريس"، و"عشتار"، و"إيزيس"، فتمثل "نهي العماش" بالآلهة العظمى "عشتار" آلهة الرافدين، فنهى لديها صفحة فايسبوك باسم "عشتار الرافدين"، وهي عراقية مقيمة بالسويد - بستوكهولم، وهي من سلالة الملوك القدماء، تدرس الآثار وتعمل في متحف الفن (ينظر: مبروك دريدي، 2018، صفحة 68-69). اسمها هو اسم الآلهة الكبرى لوادي الرافدين "عشتار"، ومكان إقامتها هو العراق.

وقد كان فريد الجحش ينادي حبيبته "نهي" باسم "عشتار" «بالطبع سأزورك يا عشتار، قارئة الطلسم وفاتحة الكنوز... طمح شوقي إلى نهى، وليالي الدفء في ستوكهولم، أكلها كل صباح وعند كل مساء... عشتار التائهة في دروب الصقيع» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 93-65). وقد كان يريد الإنجاب منها «كهف فيه كثر أزرقه لينبت سراً طلسمه الأوحى أنا... صرت فوق نهى وأنا داخل بسري في سرها... أنتفض بكل مياهي لأغرقها، أنفجر تحتها بركانا يلفظ ثدي الأرض المخزون حليباً...» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 96-97). يمثل "فريد الجحش" السماء، وتمثل "نهي العماش" الأرض، فمثلما تنبت الحشائش في الأرض بعد هطول ماء السماء - المطر عليها، فإن "نهي" قد ولدت طفلة من "فريد الجحش" سميتها "إليس" من وحي الأرض «حبيبي الغالي... عشتارك اشتقت من روحها إلهة صغيرة جميلة مثلك، كهفك الذي دخلته وعدت منه بأعلى ما في الوجود... وأمنت معك كما أمنت معي بكل أساطيرنا الراقدة في قلب الشرق العظيم... سميتها إليس من وحي الأرض التي ولدت فيها وعطفت عليه باسم كنت تحبه "ماريا"» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 150). مثلما تثمر الأرض بما لذ وطاب نتيجة التقاء السماء (الماء) بالأرض، فإن حبّ فريد ونهى قد أثمر إلهة جميلة خلدت حبهما.

شرب فريد الجحش من نسغ سحري... إنه نسغ الخلود الذي بحث عنه جلجامش «ابنة النهرين عشتار التي عرّبها نقع النخيل فصارت الزهرة... أسكر من فيض حنينك مثل جذع يشرب من نسغ سحري... نسغ الخلود الذي بحث عنه جلجامش» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 88-89). جلجامش بحث عن نبات الخلود وبعد حصوله عليه سرقت منه حياة، فمات رغم كلّ المجهودات الجبارة التي بذلها ليبقى خالدا... وفريد الجحش شرب من نسغ حبيبته السحري، فخلدت اسمه، إذ ولدت له آلهة جميلة، لكن أخذتها بعيدا عنه «حبيبي الغالي لم يعثر أحد على نهي العماش وإليس ماريا الغارقتين في بئر الخفاء، حولت اسمي واسمها، وفي جهة من الأرض نأوي إلى بعض الأمان، ننسى الخوف وجهينا ونعني عين الموت عنا... وستأتي الشمس بشروق نلقالك وتلقانا فيه فلا تقلق... لا تبحث عنا يا عفريت...» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 150-151).

مُثلت نهي العماش بـ"عشتار"، وفريد الجحش بـ"جلجامش"، فالروائي -إذن- قد استلهم هذا التماثل من أساطير السوماريين، حيث نجد أن الآلهة العظمى "عشتار" وقعت في غرام جلجامش وعرضت عليه فكرة الزواج... (د. ادزارد، وم. ه. بوب وآخرون، د. ت، صفحة 124).

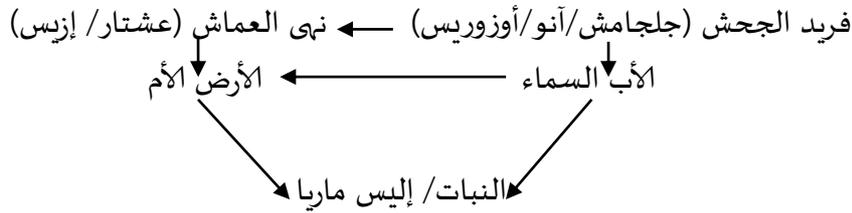
ولتوضيح هذا التماثل الموجود بين أبطال الرواية "فريد الجحش" و"نهي العماش" وبين الأساطير، فقد استعان الروائي بأنشودة "أنو": (مبروك دريدي، 2018، صفحة 72-73):

أنا أنو وهذه السماء جيبني  
في عيني تغرق كلّ الأسرار  
الماء والأنهار عروق أضخّها  
أسقي ما شئت فينبت  
كنوز الأرض أحرسها.. وعلى كلّ سرّ خدم من النّار  
وكلّ نور نسجته من خيوط شعري  
كلّ كنز ختمته بسرّ من الغيب  
سأنثر الكنوز تحت أقدام البشر  
من الأرض يأكلون... يفتحون بطنها  
تعطيهم بلا شحّ  
وتأخذهم دفائن في قلبها

ويعني هذا إن الإله الذكر "أنو" يمثل السماء (الماء، الأنهار) يسقي الأرض فتخضر وتعطي للبشر ما لذا وطاب من خضر وفواكه، وليس هذا وحسب، بل الأرض هي الأم العظيمة التي تحتضن جثثهم النتنة «فالأرض هي الأم الحقيقية للإنسان ولجميع مظاهر الحياة عليها، من بطنها تخرج عشباً وزرعاً وشجراً، حياة للإنسان والحيوان... يلتصق بها الإنسان في حياته ويعود إلى جوفها في مماته، من هنا كانت تماثيل عشتار توضح صلتها هذه بالأرض، وخصوصاً تلك التماثيل التي تظهرها في وضعية الجلوس... تعطي الناظر إحساساً بالوحدة بين التمثال والأرض، وذوبان الواحد في الآخر» (فراس السواح، 2002، صفحة 50). فالأرض الأم رمز للخصوبة عند مختلف ثقافات الشعوب، فعند الإغريق نجد الإله "جيا" Gaïa و"ريا" Rhéa و"هيرا" Héra و"ديميتري" Déméter وفي الديانة المصرية والهيلينية نجد "إزيس" Isis، أما عند الأشوريين البابليين نجد "عشتار" Ishtar أما عشتروت نجدها عن الفينيقيين، و"كالي" Kâli عند الهندوس، وفي فرجيا بآسيا الصغرى "سيبيل" وفي روما "سيريس" و"ديانا" و"فينوس"، وفي جزيرة العرب نجد "اللات" و"العزى" و"مناة"... (Voir: Jean Chevalier, Alain (Gheerbrant, 1982, p 625).

وقد شبه الروائي هجرة الأسر العربية إلى مختلف بقاع العالم كأنها أشلاء الإله المصري أوزوريس «شعب كأنه أشلاء أوزوريس تنثرها الريح على نغمة نواح حبيبته إزيس» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 100) فتنقل الأسر وتبعثرها بين مختلف بلدان العالم يماثل تبعثر أشلاء الإله "أوزوريس" في مختلف المناطق. وليس هذا وحسب فقط التحف التي قطعها "فريد" بمساعدة صديقه "عمار" وبيعها في مختلف المناطق تماثل تبعثر أشلاء الإله "أوزوريس" «قالوا لي أنهم مستعدون لأن يدفعوا ما نطلبه ليحصلوا على تحف منقوصة تكتمل معها التعويذة التي تقرأ من اللوح في تمام حلقتها. أعرف بالحدس أنك لم تبعث بكل التحف، وحسنا فعلت هم الآن يتبعون ما بقي، ونحن لا يجب أن نمكثهم مما يطلبون... لا أعرف سوى أنهم يحتاجون إلى طقس التعويذة لبعث قوة قاهرة من نار عفريت ملك... قد يكون لدى الناس أمرا خياليا، ولكنها حقيقة أكيدة، فالحكاية تعود إلى آلاف السنين حين تم حبس أقطاب من العفاريت في بقع متفرقة من العالم» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 141).

ويمكن لنا تلخيص كل هذا التماثل في الشكل التالي:



شكل توضيحي يبين لنا مدى تماثل شخصيات الرواية مع الأساطير

#### 6.4 المغارة الأسطورية:

وهي الحفرة التي دخلها "فريد الجحش" رفقة صديقه "عمار الكلب" بمساعدة حبيبة فريد "نهي العماش" التي قرأت لهم الطلاسم المعقودة، وأرشدتهم إلى تلك الحفرة الثرية التي توجد في مركز الوادي «مدخل المغارة في سرّة الوادي، مدخل الكنز تقول الطلاسم سرّه، وتشير إلى تفاصيل مهمة، لن تدخل الآن فذلك محظور، ستدخل في وقت يقترن فيه كوكب أنثى بأخر ذكر، سأفك الشفرة وأخبرك بالوقت المحدّد ومقداره» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 84). فالمغارة موجودة في سرّة الوادي، لا يستطيع أحد الدخول إليها إلا إذا اقترن كوكب الأنثى بأخر ذكر، أي الدخول إلى المغارة يستلزم طقوسا معينة، كاختيار الوقت المناسب «في يوم الجمعة عند مغيب الشمس من آخر شهر أغسطس يقترن جرم ذكر بنجمة أنثى على خط شعاع من الشمس، شعاع المذبح. ليلية حتى الفجر تستطيع دخول مغارة الكنز.. يجب أن تخرج قبل الفجر، قبل الخيط الأول من الضياء الواضح، تستطيع حمل ما تريد، وأكرر لا يجب أن تبقى بعد الفجر هناك... ولا تغامر فلنا عودة في اقتران آخر» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 90) إنها مغارة أسطورية عجيبة لا تُفتح إلا حين اقتران جرم ذكر بنجمة أنثى، والداخل إليها يجب أن يخرج منها قبل طلوع الفجر.

وأخر موعد للدخول إلى الحفرة كان مرتبطا بخلق يخرج من رحم "نهي العماش" وليس باقتران كوكب أنثى بأخر ذكر «ها قد حل الموعد الأخير، ليل بلا قمر، ظلماء حالكة، لا قران بين كوكب ذكر وأخر أنثى هذه المرة، قالت نهى إن الأمر موعود بخلق يخرج من رحمها.. ابنتنا» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 142) الموعد الأخير هو اقتران "فريد الجحش" بحبيبته "نهي العماش" والذي أثمر بنتا جميلة خلدت اسمهما "إليس ماريا". فالاقتران شرط أساسي للدخول إلى الحفرة سواء كان اقتران جرم ذكر بنجمة أنثى، أو اقتران بشري "فريد بنهي العماش" التي أخرجت من رحمها بنتا جميلة "إليس ماريا". ولا غرو في ذلك فالمغارة عند بعض الشعوب ما هي إلا رمزا للرحم الأمومي، فالدخول إلى «المغارة يناسب عودة لأحشاء الأرض، للرحم الأمومي... واليوم يعتبر الدوغون le Dogon في مالي المغاور والملاجئ تحت الصخور للرحم الأمومي وللمشيمة، هذه المغاور والملاجئ الكثيرة

عندهم، والتي استخدمها بعضهم لفترة طويلة كمسكن... وقد أعدوا من أجل إرشاد الملقنين عددا من هذه المواقع: فالملقنون الذين يسكنونها مؤقتا يعتبرون كعائدين إلى مرحلة جنينية حية في الرحم الأمومي» (فيليب سيرنج، 1992، صفحة 369). وهناك من اتخذ من المغاور مكانا للعبادة ولأسيما الأولياء الصالحين، ففيها «كل الشروط مجتمعة لتجعل لنا أمكنة تكريس، وذلك في مختلف القارات، وكانت تتعلق بنقل اليافعين إلى حالة البلوغ، الكاملة، والاجتماعية، وأحيانا الشباب من الجنسين. وقد استخدمت المغاور الكريتية الهامة بعددها وشهرتها لتكريسات ولاستعمالات أخرى كثيرة خلال العصور، فكانت على الأخص مغاور عبادة، وفي هذه الحالة يتعلق الأمر دائما، بعبادة زراعية، وبما تحت الأرض» (فيليب سيرنج، 1992، صفحة 369). فالمغارة رمز للعبادات، ولأسيما العبادة الزراعية، لذلك اتخذ "فريد" رفقة "عمار" من وادي الجن الذي توجد فيه تلك المغارة العجيبة الأسطورية مقرا لزراعة الحشيش والقنب.

وقد اتبع "فريد" بمساعدة صديقه "عمار" خط دائرة «أتبع خط دائرة بقطر متر ونصف، يساعدني عمار بحرص شديد، نقترّب من ربط خط الدائرة في مجراه المحفور بمقدار أصبع، بدأت الدائرة تكشف عن أنها قرص رخام كلسي مفصول عن صحن الكهف. تمت الدائرة وصار القرص جاهزا للرفع، ندخل في المجرى على حافة القرص وتدين من حديد مصقول. نرفع معا، نعم على البركة. أبقى وتد الحديد مشدودا ويغوص عمار بوترده أسفل، وتتناوب، انكشفت حافته فأمسكناها بيدينا، نرفعها ونزحزحها عما كانت تغطيه، تنكشف الحفرة على تراب ناعم يسفل السطح بمقدار طول ساق... ها قد اكتمل، لوح من طينة حمراء قرميديّة موشّم على وجهه برموز وعلامات منضودة في إتقان.. بطول متر تقريبا وبعرض نصف متر...» (مبروك دريدي، 2018، صفحة 143-144). والدخول إلى الدائرة «يعني نوع من الورطة أو المأزق الحياتي وقد يشير إلى طبيعة الظروف أو العلاقات الاجتماعية التي ليس بمقدوره الخروج منها» (سليمان الدليبي، 2006، صفحة 194). وهذا ما حدث فعلا لفريد الذي تورط مع صديقه عمار في زراعة القنب...

وترتبط الدائرة في الرموز الهيروغليفية «بالضياء، إنها رمز الحياة الأبدية، والدورة الكونية، والإقمار... وتقول الأسطورة المتعلقة بأساس العقيدة المصرية القديمة، إن "ست" حين اغتال أخاه أوزيريس، عمد إلى ثني جسده بحيث توضع الرأس بين الفخذين، وأيضا لكي تتحطم أربعة أماكن بالعمود الفقري. أيا أوزيريس لقد تُنبتت في هيئة دائرة... إنك هائل الضخامة، أوزيريس ها هي "الدائرة الكبرى" وقد توارت بداخل اسمك، ونلاحظ الإيماء هنا إلى الشمس الغاربة، وإلى عالم الظلمات الذي ينسحب بداخله "كوكب النهار"....» (روبير جاك تيبو، 2004، صفحة 145) ويعني هذا إن الدائرة رمز للشمس الغاربة، وللظلمات.

## 5. خاتمة:

توصلنا إلى مجموعة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- تعد رواية "وادي الجن" من الروايات التي حاولت ربط الماضي بالحاضر من خلال استلهام الأساطير القديمة، حيث جعلها الروائي تتماشى مع مستجدات الواقع المعيش، تعبّر عن قضايا المتعدّدة، كقضية تجارة المخدرات، وتهريب الآثار، والرشوة، والفساد، والبيروقراطية.

- استحضّر الروائي الجزائري "مبروك دريدي" في روايته "وادي الجن" أساطير ورموز كثيرة، وهذا دليل على إلمامه بالفولكلور، وقدرته على استثمار مختلف مآثورات ورموز التراث الشعبي، وهذا ما جعله يؤلف رواية يتضافر فيها الواقعي بالأسطوري بطريقة ذكية جعلته يخرج عن الصيغ النمطية في التأليف.

- جعل الروائي شخصيات الرواية (فريد الجحش، نهي العماش...) تماثل الأساطير القديمة (جلجامش/ عشتار، أوزوريس/ إزيس) بطريقة تجعل القارئ يعود إلى الزمن البدئي الميثولوجي، أي إحياء للماضي في الحاضر بحلّة جديدة تتلاءم وروح العصر، متجاوزا بذلك أنماط الرواية التقليدية السائدة.

- أخيراً على الباحثين استقرار مختلف مآثورات الأدب الشعبي - ولاسيما الأساطير- المتناثرة بين مختلف الروايات المعاصرة، الغنيّة بحمولات معرفيّة أسطوريّة مكثفة.

#### 6. قائمة المصادر والمراجع:

- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (1990)، لسان العرب، ط1، مج04، بيروت، لبنان، دار صادر للطباعة والنشر.
- شهيرة بوخونوف، (2016)، تمثلات الربيع محليًا وعالميًا – مقارنة أنثروبولوجية، قسم اللغة والأدب العربي، كلية اللغات والآداب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.
- - د. ادزارد، وم. ه. بوب وآخرون، (د.ت)، قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين (السومارية والبابلية) في الحضارة السورية (الأوغاريتية والفينيقية)، تر: محمد وحيد خياطة، لبنان – بيروت، سورية – حلب، دار الشرق العرب.
- حسن نعمة، (1994)، ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، د. ط، بيروت، لبنان: دار الفكر.
- كارين أرمسترونغ، (2008)، تاريخ الأسطورة، تر: وجيه قانصو، ط1، بيروت، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون.
- مبروك دريدي، (2018)، وادي الجن، الجزائر، الجزائر تقرأ.
- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي، (د.ت)، القاموس المحيط، د. ط، ج2، بيروت، لبنان، دار الجيل.
- - م. ف ألبيدل، (2008)، سحر الأساطير، دراسة في الأسطورة - التاريخ - الحياة، تر: حسان ميخائيل اسحق، ط2، دمشق- سورية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة.
- - سليمان الدليبي، (2006)، عالم الأحلام تفسير الرموز والإشارات، ط10، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
- - فراس السواح، (2001)، الأسطورة والمعنى – دراسة في الميثولوجيا والديانات المشرقية، ط2، دمشق:، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة.
- - فراس السواح، (2002)، لغز عشتار- الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، ط7، دمشق- سورية، منشورات دار علاء الدين.
- - فيليب سيرنج، (1992)، الرموز في الفنّ- الأديان- الحياة، تر: عبد الهادي عباس، ط01، دمشق- سورية، دار دمشق.
- - روبير جاك تيبو، (2004)، موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية، تر: فاطمة عبد الله محمود، ط01، القاهرة، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة.
- - خليل حنا تادروس، (د.ت)، أحلى الأساطير العالمية، بيروت، لبنان:، دار كتابنا للنشر.
- - Jean Chevalier, Alain Gheerbrant, (1982), *Dictionnaire des Symboles, Mythes, Rêves, Coutume, Gestes, Formes, Figures, Couleurs, Nombres*, Paris, France, Edition Robert Laffont / Jupiter.
- - Mircia Eliad, (1963), *Aspects du Mythe*, Paris, France, édition Gallimaed.